

مختصر ابن كثير

79 - ما كان لبشر أن يؤتیه ﷻ الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون ﷻ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون .
- 80 - ولا يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا يأمرکم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون .

عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظي : حين اجتمعت الأخبار من (اليهود والنصارى) من أهل نجران عند رسول ﷻ صلى ﷻ عليه وسلّم ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا ؟ فقال رسول ﷻ صلى ﷻ عليه وسلّم : " معاذ ﷻ أن نعبد غير ﷻ أو أن نأمر بعبادة غير ﷻ ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني " أو كما قال صلى ﷻ عليه وسلّم فأنزل ﷻ في ذلك من قولهما : { ما كان لبشر أن يؤتیه ﷻ الكتاب والحكم والنبوة - إلى قوله - بعد إذ أنتم مسلمون } (ذكره محمد بن إسحاق) أي ما ينبغي لبشر آتاه ﷻ الكتاب والحكمة والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون ﷻ أي مع ﷻ فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل فلا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى لهذا قال الحسن البصري : لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته قال : وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أبحارهم ورهبانهم كما قال ﷻ تعالى : { اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون ﷻ } الآية . وفي المسند أن عدي بن حاتم قال : يا رسول ﷻ ما عبدوهم قال : " بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم " فالجهلة من الأبحار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين .
فالرسل صلوات ﷻ وسلامه عليهم أجمعين هم السفراء بين ﷻ وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة فقاموا بذلك أتم القيام ونصحو الخلق وبلغوهم الحق وقوله تعالى : { ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون } أي ولكن يقول الرسول للناس : كونوا ربانيين قال ابن عباس : أي حكماء علماء حلماء وقال الحسن : فقهاء وعن الحسن أيضا : يعني أهل عبادة وأهل تقوى وقال الضحاك في قوله : { بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون } حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها تعلمون : أي تفهمون معناه وقرء تعلمون بالتحديد من التعليم { وبما كنتم تدرسون } تحفظون ألفاظه ثم قال ﷻ تعالى : { ولا يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا } أي ولا يأمرکم بعبادة أحد

غير اﻻ لا نبي مرسل ولا ملك مقرب { ايامركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون } ؟ أي لا يفعل ذلك
إلا من دعا إلى عبادة غير اﻻ ومن دعا إلى عبادة غير اﻻ فقد دعا إلى الكفر والأنبياء إنما
يأمرون بالإيمان وهو عبادة اﻻ وحده لا شريك له كما قال تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من
رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فعبدون } وقال : واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا
أجعلنا من دون اﻻ آلهة يعبدون ؟ وقال إخبارا عن الملائكة : { ومن يقل منهم إني إله من
دونه فذكل نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين }